شعر كثيّر عزة
قراءة في الأنساق الثقافية المضمرة



أ.م.د جميل بدوي حمد الزهيري

جامعة واسط/ كلية التربية

لم يكن الإنسان م وقاً مستلماً لمحيط ، وما يعيشه في بيئت ، فبفضل ما حباه الله من العقل تحرك الإنسان باحثاً عن أسباب استغلال ما يحيط به لخدمته بوسائل شتى واضعاً في حسبانه ما يهدد وجوده في هذا العالم متخَّذاً أساليب للدفاع عن نفس ، فهو كائن عاقل ناطق غريزي يطمح إلى أن يعيش مدة أطول ، ولهذا أخذ يدافع عن وجوده إزاء ما يهدده من عناصر الطبيعة كالعواصف والأعاصير والرعد والبرق والأمراض والحيوانات والجن ، وكل ما يهدد كيان ، فلا بدّ له من بذل أنشطته على هذا الكوكب ؛ لإدراك غايته المنشود ؛ فالتجأ إلى الخرا ت والأساطير حتى انه رسم على جدران الكهوف رسوماً لمخلوقات ظنّاً منه بأنه سيخضعه بهذه الطريق ، أو تلك ، وكلما تطور فكره تطورت أساليبه تبعاً لنضجه العقلي ، فهو يبحث دائماً عن ما وراء الأشيا ؛ لإخضاعها لخدمت ، وصار ملتجأ بفضل نضجه إلى قوة خارق ؛ فتبلورت لديه فكر ة الدين الأولي ، وتحتم عليه أن يتقرب إلى ديانته بأناشيد وترانيم مستعملاً اللغ ؛ ولذا فأنّ لغة الإنسان كانت وعاءً لأفكاره ومعتقداته حتى أصبح القول تعبيراً عن حاجات إنسانية على صعد الذات المختلف ، فأصبح لدينا على مسار الزمن موروثاً قائماً على النشاط الإنساني باستعمال لغت ؛ لتسجيل ما انتهجه الإنسان خلال مساره الحياتي من عادات وتقاليد وديانات كونت فيما بعد ما يسمى بالموروث الثقافي ، وهذا الموروث يؤرخ لتفاعل الإنسان مع بيئته بطرق عدة تمثل ما يعرف بالمواضعات الاجتماعية بكل تناقضاته ؛ لأنّ هذا الكائن المفكر لم ينتهج نهجاً واحداً في ممارسة نشاطه الحياتي ؛ فقد اختلفت قيمته وديانت ، وعاداته متسمة بالتناقضية الناجمة عن اختلاف المعالجات النفسية في سير الحياة الاجتماعي ، وهذه الموصفات جمعت بين القبح والجمال ، والزائف والأصيل ، والحق والباطل ، والخير والشر ، وحين انتقل الإنسان ن لغة التخاطب اليومي والتفاهم الجماعي إلى لغة

الانزياح بحثاً عن الارتقاء بالواقع الحياتي إلى ما هو أجمل وأفضل ؛ لإشباع غاية نفسيه لدى المبدع الذي جعل من النص الأدبي مرآة لمحمولات مجتمعه وبيئته الثقاف ، إذ أظهر منها ما يتـ ـم مع أذواق النخبة مركزاً على ما هو جميل ، وقد اغفل ما وراء هذا الجميل ؛ وذلك لإغراء المستقبل بجمالي ، أو بهرج العمل الأدبي لغاية براكماتي ، ولم نجد من المبدعين من أظهر بؤس مجتمعه إلاّ النزر اليسير ، فالفن ومنه الشعر هو التعبير الأسمى والأصدق عن الذات الإنساني ، والدفاع عن سموها وحقّها في ا ش الكري ، ولو كان الشاعر معبراً عن الإنسانية والحياة الصادق : لوضع فنه في مساره الصحيح الذي يسمو بالفن إلى مبتغى خدمة المجتمع ؛ والنهوض برتبته إلى ما هو أحسن [1] لكنّ المبدع ظل يدور في فلك الذوق العام المحكوم بأعراف أصبحت كالقوانين الصارم ، فالشاعر قادر على كسر هذه التقاليد لكنه غير مستعدٍ على أن يضحي بفنه الذي يروج له بجماليات ظاهر ؛ يفتن بها المتلقين ، فالشعر بحقيقته منز عن العبث ، فالعبثية لوثت الشعر بفعل خضوع الشاعر لمطامعه النفسي ، وكذلك لتمسك نقاد الشعر بالتقاليد المتعارف عليه ، والمتمثلة بالفصاحة والبـ غة والقول السلي ، فقد سار النقد العربي على تقاليد مرسوم ، إذ انصب تقييمهم على ما هو جميل باعتماد التقنيات البلاغية التي أعدّها أغلفة مزركشا ، تبهر أذواق المتلقين إلاّ أنها تخفي وراءها انساقاً مسكوتاً عنها تكون لبّ العمل الشعري أو الأدبي ، وهي تمثل الموروث الجمعي لثقافة أية أمة من الأمـ : فهـي نتاج اجتماعي بعيد عن الفردية [2] ويعد هذ ضمراً ثقافياً ناجم عن عمليات من التراكم والتواتر حتى صارت موروثاً جمعي [3] .

وقد اغفل النقد الأدبي جوانب مؤثرة في النصوص الشعرية مكتفياً بإظهار جمال مـ هو جميل مقتفياً بهذا آثار الأدباء والشعراء أنفسهم متماشياً مع الذوق العام غير ملتفت إلى مـ هو كامن من عناصر نسقية مسكوت عنه في نقدنا الأدبي ، وكان أحرى بالنقد الأدبي من وجهة نظرنا أن يسلط الضوء على تلك العناصر المضمر ؛ لإظهار ما تخفيه زخارف النصوص من الموروث الثقافي الجمعي

ولم يستطع النقد الأدبي فكاك من قيد الدرس البلاغي ، وما يحمله من معايير نقدية ، وبهذا فإنّ النقد الأدبي قد أغفل الإحاطة بكل تفاصيل الموروث الجمعي ؛ فجاء النقد الثقافي

---

(١) ينظر الشعر فاعلاً ارهابي ١٠ .
(٢) ينظر نقد ثقافي ام ادبي ١٥٤ .
(٣) ينظر النقد الثقافي ٢١ .

ليحرك (مكامن النص النقدي عبر شبكة من العلاقات الذهنية والفكرية والفلسفية)[١] وهو يعد بحق محاولة جادة لتحريك الذهن العربي ، والانتقال به من السطحية العاطفية إلى أعماق الأنساق العربية قديماً وحديثاً بأسلوب علمي غايته المثلى البحث عن حقيقة مكونات الثقافة العربية في موروثها الأدبي[٢]

وبهذا فإنَّ النقد الثقافي يقدم للمتلقي دراسات تكشف عن حقيقة النصوص الأدبية شعرية كانت أم نثرية بمنظارٍ علميٍّ وحيادية نزيهة غايتها دراسة الأنساق المهمشة التي أعرض الناقد الأدبي عن كشفها ، فإذا كان النقد الأدبي يعنى بالنص النخبوي ، فإن النقد الثقافي يعني بأدب الجماهير الذي ظَلَّ منزوياً عن الأضواء خلال العصور الماضية ، فهو يربط النص بسياقه وظروفه ، ويفيد من العلوم الإنسانية والفلسفية ولديه قدرة على اكتشاف الأخطاء الحضارية ، وذلك من خلال البحث عن صلة اللغة بالمجتمع والبيئة[٣] فالنقد الثقافي أكثر تكاملاً من سابقه ؛ لأنَّه لا يعني بجمالية النص لجماله ، وإنَّما يعني بوجود متضادات العناصر النصية للكشف عن دلالات ذلك التضاد ، فمثلما للجمال دلالات ، فللقبح دلالات ، وهو بهذا يعتمد الجرأة في تعامله مع النصوص الأدبية للكشف عن غائياتها الكامنة ؛ ولذا فقد اعتمدنا هذا المنهج في دراسة الأنساق الثقافية المضمرة في شعر كثيّر عزة .

إنَّ دراستنا لشعر كثيّر عزة ستكشف انساقاً ظلت بعيدة عن الكشف ردحاً طويلاً من الزمن ، وغايتنا من هذا إظهار فاعلية تلك الأنساق المسكوت عنها في ثقافة مجتمع الشاعر في ذلك العصر ، فعند سماع المتلقي باسم كثيّر عزة ؛ سيتبادر إلى ذهنه أنه شاعر الغزل العذري الذي يذوب شوقاً للقاء حبيبته ، ويتطلع بشغف إلى رؤيتها ، ولو في المنام ، فهو معبودها والمتيم بها والحريص على وصالها ، والحذر من عيون الرقباء والكاشحين ، لكنَّ هذه الدراسة ستكشف انساقاً لا عهد للمتلقي بها تظهر تأثر الشاعر بثقافة مجتمعه ، وخضوعه لعاداته وتقاليده خضوعاً قسرياً في جوانب كثيرة من شعره ، ومن أهم الأنساق المضمرة في شعر كثيّر عزة التي سندرسها في هذا البحث هي :

١. الحسية في عذرية كثيّر عزة .

---

(١) النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي ، العراق أنموذجا اطروحة دكتوراه) عبد الرحمن عبد الله احمد / ١٤ .

(٢) ينظر المائدة الأدبية ٢٧ .

(٣) ينظر النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات ١٠٧ .

٢. الغلو في تعظيم الممدوح .

٣. إقصاء الآخر .

٤. طغيان الأنا .

٥. تمجيد الحرب والحث على العنف .

٦. التزلف للحكام بالرشاء .

١. الحسية في عذرية كثيّر عزة :

يصنف كثير عزة على الشعراء العذريين ، ومن يسمع بهذا العنوان يتبادر إلى ذهنه أنَّ الشعر العذري ينصب على أظهار تأجج العشق في نفس العاشق ، فهو يشكو شدة وجد ، وألم سقمه بسبب هيامه بهذه ، أو تلك ؛ وذلك لأنَّ الشاعر العذري قد وضع على نفسه قيوداً تحدّ من حريته في التعبير عن علاقته بالجنس الآخر ؛ مما يزيد من اشتعال نيران الجوى في جوفه ، فهو لا يجد سبيلاً إلى إطفاء نيرانه كالحسّيين الذين لا يتورعون عن مباشرة حبيباتهم في القول ، أو الفعل ، وهذا ما هو ظاهر في شعر كثيّر عزة ، ومن يلتفت إلى شعره ؛ سيقف على أنساق مفعمة بالحسّية والشبقية ، وهتك الكثير من مفاتن المرأة ، فهو يلتزم التزاماً تاماً بإضفاء ثوب العذرية على غزله ، وإنْ حاول ذلك ، فسرعان ما ينخرق هذا الحجاب الصوفي ؛ فيظهر لنا الشاعر إنساناً ساعياً من اجل إشباع غريزته ، وإثبات فحولته من دون التخفي وراء النص بدوافع سلوكية تكشف عن انخراطه في ثقافة مجتمعه الذي يعيش فيه ، فهو من حيث السلوك يتصرف تصرف ذكر يبحث عن أنثى ؛ لإشباع غريزة من غرائزه ، بل هي اكثر على الرجال من سائر غرائزه ، وأما من حيث الثقافة ، فالشاعر مشبع بثقافة مجتمعه المطبوعة بطابع الذكورية ، فحركته السلوكية تتأثر بثقافته الاجتماعية ، وهذا ما يوقع الشاعر في المساحة المكشوفة على الرغم من تستره وراء الزائف من الأنساق المصطنعة ، فالسلوك الإنساني والأنماط الذهنية والسلوكية تدرس من جانبين مهمين وهما الثقافة والمجتمع ، وهما مفهومان متلاصقان جداً والعلاقة وثيقة بينهما (١) فالشاعر يتحرك بفعل ضغوط ذاتية ومعنوية ؛ فيكون خطابه مؤثراً في نفسية المتلقي سلباً أم إيجاباً ، فالمتلقي يرزح تحت ضغوط

---

(١) نظرية الثقافة : ١٠ .

الخطاب الإبداعي الذي يؤدي به إلى قهرية الموقف المتأتي من النص الإبداعي الضاغط على ذات المتلقي ، فالخطاب الإبداعي ليس منزهاً ولا مرتفع عن الخلل والسقم[١]

فإذا كانت وظيفة الشاعر النهوض بالواقع المعيش من خلال التعبير اللغوي في مجال الإبداع الخطابي على وفق مقاييس ومواصفات اجتماعية قهرية فأن وظيفة النقد النص الإبداعي في مساراته الغائرة تحت جمالية النص التقليدي ؛ ليمارس وظيفة اجتماعية كاشفة عما هو غائب عن عيون المبدعين ، أو النقاد الذين اتخذوا من جمالية الأدب مذهباً له ، فالخطاب الإبداعي الحسي عند كثيّر عزة استجابة لحاجة ملحة على رجولة الشاعر المتمثلة باقتحام الآخر المتمنع ، لإشباع غريزة مكبوتة ؛ سرعان ما تخرق حاجز العذرية إلى الحسية بفعل تخلخل المفاهيم السائدة ؛ إذ هزمت ذاتية الشاعر موضوعية المجتمع الزائف ، فتجلى لنا الشاعر على حقيقته حين ذكر لنا رضاب فم الحبيب ، وهو يشبهه بالخمر بعد نومه ، وهنا أطارت عواصف الرجولة ثياب عذرية الشاعر ، وكشفت لنا عن حسيةٍ خجولة مداراة لقيم القبيلة ، وهذه الحسّية تتجلى بوصف ريق الحبيبة وتشبيهه الخمرة وهل رأيت أحداً اقرب إلى حبيبته ، وهو يتذوق رضابه ، ألم يكن هذا نسق حسي قد اختفى بين حشد زاخر من شكوى الشاعر وتشوقه إلى حبيبته ، إذ فقد الستار على حين غرة ، وهذا يكشف عن مكنونات نفسية الشاعر المكبوتة بفعل قهرية العادات والتقاليد المصطنعة كما في قوله :

إذا ضحكتْ لم تَنْتَهِزْ وتَبَسَّمَــــتْ ثَنَايَاها لها كالمُزْنِ غُرٌّ ظُلُومهـــــا

كــأنَّ على أنيابها بَعْدَ رَقــــدَةٍ إذا انتبهتْ وَهْناً لمنْ يستنيمُهـــــا

مُجاجة نَخْلٍ في أباريق صَفْقِــــةٍ بصَهْبَاءَ يجري في العِظام هَميمهـــا

ركودُ الحميّا وردةُ اللَّونِ شابَهـــا بمـــاء الغوادي غَيْرَ رَنْقٍ مُديمهـــا[٢]

وتلح الحسّية في أكثر من موضع على كثيّر ، إذ يكرر ذكر رضاب الفم ورائحته بعد النوم حتى تأخذه الشبقية إلى ذكر تقبيل الحبيبة غفلة ، وذلك تحت وطأة إشباع الغريزة ، إذا يعود الشاعر إلى حقيقته وفطرته بغفلة من المجتمع ، فهو يفصح من دون ان يشعر عن رغبة مكبوتة خوفاً من تقاليد المجتمع ، وأعرافه الصارمة كما في قوله :

وذي أشُرٍ عذبِ الرُّضابِ كأنّـــهُ – إذا غارَ أردافُ الثريّا السوابـــقِ –

(١) ينظر نظام الخطاب / ١٨ .

(٢) ديوان كثير عزة / ١٤٤ - ١٤٥ .

مُجاجةُ نحلٍ في أباريقَ صُفِّقتْ   بِصَفْقِ الغوادي شَعْشَعتْهُ المُجادحُ
تروقِ عيونَ اللائي لا يَطْمعونها   ويُروى بريّاها الضَّجــيعُ المُكافحُ
وَغُرٌّ يُغادي ظَلْمَهُ بِبَنَانِهــــــا   مع الفَجْر من نَعمانَ أَخْضَرُ مَائِح [10]

نلحظ أن الشاعر يلحّ على ذكر ثغر الحبيب ؛ لأنه يمثل مرتكز الإثارة عند الرجل والمرأ ، فهو بؤرة لتحرك النزعة الحسية تجاه الآخر ، وهذا يدل على إغفال هذا النسق في دراسات الشعر العذرِ . ويحاول الشاعر إخفاء شبقيته بأداة الشرط لو) نافياً ما قد تمنا ، ولو علمنا أن لو) عند البلاغيين تأتي للتمنِ ، فهي بمعنى ليت ، فالشاعر لم يصرح مباشرة بالشيء المتمنِ ، وهو الفتاة الطيعة المنقادة للعناق ، وهنا يظهر الشاعر اكثر حسّياً ، إلا أنّهُ يبدو خائف ، فجاء بــ لو) مستعملاً النفي الضمني كما في قوله :

ولَوْلا حبّكُم لتضاعفتنــيْ   هضيمُ الكَشْحِ طيِّعةٌ العناق
كأن مغارزَ الأنيابِ مِنها   إذا ما الصُّبْحُ نَوَّرَ لانْفِلاق
صَلَيتُ غَمامةٍ بجَناةِ نَحْل   صَفاةِ اللّوْن طيّبَةِ المَــذاق [11]

يلحظ المتلقي أن كثيّر عزة قد ألحَّ عن تشبيه رضاب الحبيبة بالخمر ، ولا يخفى أن الخمرة تمثل نسقاً في ثقافة ما قبل الإسلام رفضها الدين الحنيف ونهى عنه ، لكنّ الشاعر ظلَّ يكرر ذكرها محاباة لأذواق المتأه لمين من الحكام الطغاة الذين استمروا على معاقرته .

ولم تكن حسية الشاعر في الثغر ، أو القبلة وإنما نجد ذلك في اغلب أوصافه لحبيبت ، فهو يركز على مناطق حساسة كذكر الخصر أو القوا ، والسيقان ، وهذه إيحاءات حسّية لا تخفى على احد كما في قوله :

كأن الريحَ تثني حيــــن دبّتْ   ولو ضَعُفَن – بهنَّ فروعَ ضالِ
كسونَ الرَّيطَ ذا الهُدْبِ اليماني   خُصور فـــــوق أعجازٍ ثِقالِ
ويجعلنَ الخلاخلَ حين تُلْــوى   بأسؤقهن فــــــي قصَبٍ خِدالِ [12]

(١٠) . ن ٨٦ ١٨٧ .
(١١) . ن ٢٣٨ .
(١٢) ديوان كثيّر عز ٢٨٨ .

ومن ذكره للساق الممتلئ والشعر المتدلي ، والخصر الدقيق ، قوله :

عَيوفُ القَذى تأبى فلا تعرفُ لخـــنا ... وترمـــى بعينيها إلى مَنْ تكرما
إلى أن دعــــتْ بالدِّرع قبلَ لداتهـــا ... وعادت تُرى منهنَّ أبهى وأفخما
وغال فضولَ الدِّرعِ ذي العرض خَلقُها ... واتعبتِ الحجلين حـتى تقصَّما
وكظّت سِوارَيهـــا فلا يألوانِهـــا ... لــدن جاوزا الكفين أن يتقدما
وتُدْني على المتنين وَحْفــــاً كأنّهُ ... عـــناقيدُ كرْمٍ قد تدلّى فأنعما
من الهيف لا تَخزى إذا الريحُ الصَقتْ ... على متنها ذا الطُرَّتَيْنِ المنمنم (٣)

دأب الرجل – في الكثير من الأحوال – على كبت مشاعره تجاه نصفه الثاني امتثالاً لقيم المجتمع لاسيما في العصور الأولى الأمر الذي جعله يتحايل على النص بقصد ، أو بغير قصد ، لإظهار مشاعره المكبوتة ، فلم يكن الشعر العذري كله قائماً على إظهار التواجد العفيف ، والشوق المروع للمرأة إنّما هناك مساحات تهلهل عندها ستار عذرية هذا الغزل ، إذ رأينا الشاعر على فطرته الإنسانية التي تمثلت في جانب مهم منها بتوقه إلى تلك المرأة التي جعلها الله الجزء المكمل للرجل ، فكل جمال يعد محدوداً في التعامل معه إلا جمال المرأة ، فهو جمال فعّال ودافع من أهم دوافع الإبداع الرجولي في التعبير عن مكنونات الذات الإنسانية ، ولم يقتصر جمال المرأة على ما هو حسي ، بل يتعدى ذلك إلى أعماق الروح التي جبل الله الإنسان عليه ، فهي كائن شفاف بريء ، وهذا ما يعزز تفوق جمال العامل الروحي ، فجمال المرأة لم يكن مرحليّاً يزول بزوال شبابه ، إنّما يتجدد بتجدد المهمات الاجتماعية الملقاة على عاتقه ، فمن جمالها أنها تهب نفسها لغيرها وتتفاعل معه (٤) . تفعالاً اجتماعياً وحيويّاً لاستمرارية الحياة الإنسانية . وهي بهذا كائن روحي تتخطى محدودية الجسم وماديته مؤثرة بمحيطها أملاً ويأساً بسبب ما حاباها الله به من شفافية وعاطفية (٥) فشاعرنا وسائر العذريين قد وقعوا تحت وطأة ساحرية هذا الكائن الرقيق .

---

(٣) . ن / ١٣٤ .
(٤) ينظر صوت بوابة الكون / ١١ .
(٥) ينظر في النقد الجمالي ، رؤية في الشعر الجاهلي / ١٣ ، والأمل واليأس في الشعر الجاهلي / ١١ .

٢. الغلو في تعظيم الممدوح :

دأب الإنسان على توظيف اللغة لمنافعة في ميادين الحياة كلّها ، فبها عبر عن طاعته للآلهة ، وبها كتب الرقى والتعاويذ ، وبها بدد وحشة الفلوات ، وحنادس الليل ، ومخاوف النفس عندما أطلق صوته بالحداء وسط العتمة ، أو في هواجر الصحارى ، وبها تودد لنصفه الآخر ، فاللغة بهذا من أهم وسائل الإنسان التي استعملها للكشف عن مكنونات الذات ، وتطويع ما يحيط بتلك الذات ؛ لتحقيق غاياته المعيشية ، وبهذا تكون اللغة من أهم وسائل رقي الإنسان وسموه على هذا الكوكب ، وهذا أمر يتسم بالإيجابية باستعمال الوسيلة ، ولكن حين تصبح الوسيلة عامل ذلال لصاحبها ، ودافعاً لتفرعن الأقوى ، أو الأغنى في محيط النفس الإنسانية ، والأوساط الاجتماعية ؛ فتكون اللغة عامل تخريب للفطرة الإنسانية السَوية التي نادى بها الإسلام الحنيف عندما نهى عن تعدد المعبودات وأمر بتوحيد المعبود العظيم ، لكنَّ المبدع تحايل على النص لشعري ، إذ تصور أن رؤساء القبائل ، أو الحكام مفوضين من قبل الخالق سبحانه وتعالى ؛ حتى أنه انصرف عن تعظيم الله إلى تعظيم المخلوق ، وبهذا يكون قد وقع في الشرك بقصد ، أو من غير قصد ، وقد توهَّم السواد الأعظم من الناس بأنَّ الأقوياء جاءوا بأمر الله ، أو هم أبناء الله كما وجدنا عند بعض الشعوب القديمة . وبهذا نجد أن الإنسان نفسه قد أسهم بإعطاء الحق للطغاة بالتحكم في مصائر الناس ، ومقدراتهم والتعالي عليهم حد الإذلال والتنكيل والموت (١٦) فلا يلقى اللوم على الشعراء وحدهم ، بل أنَّ المجتمع هيَّأ بيئة صالحة لشعراء المدح الذين نسوا رسالتهم الإنسانية حين جعلوا الأدب سلعة ، أو بضاعة للكسب (١٧) . ونجد ذلك واضحاً في الممالك العربية القديمة التي ظهر فيها مادحٌ وممدوح و بائع ومشترٍ فهذا يمدح ، وهذا يمنح ، وهذا يبيع ، وذاك يشتري (١٨) ، وبهذا قد جرى تسليح البلاغة والخيال ، وحينئذٍ أخذ الشعر يتراجع عن وظيفته الاجتماعية البناءة التي تقتضي نهوض الشعر والشاعر بالمجتمع من خلال معالجة النقوص بالإبداع الفني الفني ، بل أصبح الشاعر أداة لترسيخ التباين بين الناس ، وتوسيع الفجوة بين الحاكم والمحكوم ، والظالم والمظلوم ، والسادة والعبيد ، حتى أنَّ الناقدَ يسير بركاب أولئك الشعراء ؛ فيمنح مدائحهم الشرعية بإظهار جمال مبالغات المداحين ؛ فانزوى الفن وانحصر في قصور المتنفذين مبتعد عن السواد الأعظم الذي أمسى مهمشاً بعيد عن الأضواء خافتاً صوته وسط جلبت أصوات المداحين

---

(١٦) ينظر الطاغية ٢٢ ، وطباع الاستبداد ومصارع الاستعباد ٣٤ .
(١٧) ينظر الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ١٠ ، ودلالة المدينة في الخطاب العربي المعاصر ١٧٨ .
(١٨) النقد الثقافي ٤٤ .

ولا عجب في هذا إذا كان صادراً من أفواه المداحين المحترفين الذين شيَّؤا الشعر ، بل العجب كل العجب حين ينقلب شاعر الغزل – الذي جعل من شعره وسيلة لمحاكاة النفس الإنسانية والتعبير عن عواطفها النبيلة – إلى مداح يجعل الجبان شجاع ، والبخيل كريم ، والظالم عادل ، والقبيح جميلاً من أجل عرض الدنيا ، فقد باع هؤلاء الشعراء فنهم بثمن بخس ، وابتعدوا عن رسالة فنهم النبيل ، وهذا كثيّر عزة الذي عرف بغزله العذري تراه مداحاً مغالياً بمدحه لأعتى الطغاة ، وهذا النسق أغفله الناقد الأدبي في دراسته لشعر كثيّر عزة ، إذ انشغل بصوت الوجدان عن صوت المديح .

وقد شغل مديح كثيّر عزة لآل مروان مساحة واسعة في شعره ، وكان مغالياً في مدحياته لهم ، وها هو يمدح عبد الملك بن مروان ناعتاً آل مروان مبالغاً في مدحهم جاعلاً من عبد الملك بن مروان رجلاً كاملاً فذاً لا يدانيه أحد رافعاً حسب آل مروان فوق أحساب العرب كما في قوله :

سيأتي أميرَ المؤمنينَ ودونـــــهُ ... جماهيرُ حِسْمى قُوُرها وحُزُونُـــها
تجاوبُ أصدائي بكلِّ قصيـــــدةٍ ... من الشعرِ مهداةٍ لمن لا يُهينـــــها
أفخِّم فيها آلَ مروانَ إنّهُـــــــمْ ... إذا عمَّ خوفٌ عبدَ شمسٍ حُصونها
أسودٌ بوادي ذي حماسٍ خــوادرٌ ... حوانٍ على الاشبال محمًى عرينها
إذا طلبوا أعلى المكارمِ أدركــوا ... بما أدركتْ أحسابُ قومٍ ودينهـــا
لقد جَهد الأعداء فَوْتَكَ جُهدَهــمْ ... وضافتكَ ابكارُ الخطوبِ وعونـــها
فما وجدو فيكَ ابنَ مروان سقْطَةً ... ولا جَهْلَةً في مأزقٍ تستكينُهـــا

------ ... -------

أذا ما أراد الغزْوَ لم تثْنِ عزْمَهُ ... حَصانٌ عليـــها نَظْـمُ دُرّ يَزينُها
نَهتْهُ فلمّا لم تَرَ النّهْيَ عاقَـــهُ ... بكَتْ فبكـى مِمّ شجـاها قطينُها
ولم يثْنيهِ عِندَ الصَّبابةِ نَهْيُهـــا ... غداةَ اسْتهلّت بالدُّموعِ شؤونُهـــا

------- ... -------

فتى اخْلصَتْهُ الحربُ حتى تقلَّبتْ كما اخصلتْ عضباً بضربٍ قيونهِ (١٩)

نعت الشاعر عبد الملك بن مروان بإمارة المؤمنين كما نعته بالكمال والانصراف عن النساء الجميلات ، فهو مقاتل في سبيل تحقيق سنة الحق ، وهو الفتى الذي لا يغلب ، وهذه الصفات تعد عواملَ من عوامل مغريات الممدوح بالتعالي والتعنت ، وقسوة القلب ، ولم يلتفت الشاعر إلى أحداث جسمية ، ووقائع عظيمة حصلت في خلافة عبد الملك بن مروان وبأمر ، ومن أهمها رمي الكعبة بالمنجنيق ، وقتل عبد الله بن الزبير داخل الكعبة ، ولم يتورع عبد الملك بن مروان عن سفك دماء المسلمين ، إذ أطلق يد الحجاج وغيره من الولاة والأمراء المتجبرين في رقاب الناس ، وقد أحاط عبد الملك ملكه بالأبّهة التي لم تكن مألوفة في زمن الرسول (ص) ، ولا في عهد الخلفاء الأربعة ، ولم يردنا عنه بأنه كان ليناً سمحاً ، بل كان متجبراً قد تعامل مع خصومه ، ومعارضيه ، ومن لم ينضو تحت لواء مكة بأقسى أنواع الردع والتنكيل ، فها هو يعلن عن سياسته في الرعية ، وطريقة حكمه قائلاً : (أما بعد ، فلست بالخليفة المستضعف والخليفة المداهن ، ولا الخليفة المأمون إلاّ أني لا أداوي هذه الأمة إلاّ بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم) (٢٠) .

لقد أصبح المديح بهذا الشكل آفة من آفات البلاد ، فالشاعر يسرف بالتغني وتمجيد الطغاة الذين انحرفوا عن جادة الإسلام الحنيف ، فعبد الملك يعامل رعيته بالسيف ، ويراها الدواء الناجع للأمة التي عاملها الرسول الكريم (ص) بالحسنى وروح التسامح ، وميزان العدل . ولم يكن الرسول الكريم (ص) قاسياً حتى مع من آذاه من أعدائه الذين أخرجوه من ديار ، وسعوا إلى قتله ، ومثلو بعمه الحمزة (رض) فحين نصره الله ، قال كلمته المشهورة : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، وشتان مابين كلمة الرسول الكريم (ص) وكلمة عبد الملك بن مروان ، فقد اغفل الناقد الأدبي ذلك الموروث الذي كان عليه الرسول الكريم (ص) والرعيل الأول من المسلمين الذين حكموا الناس بالقران الكريم ، و سنة النبوية السمحاء .

وكان على الشاعر أن لا يتمادى بإضفاء صفات المدح على الممدوحين الذين لا يتمتعون بجزء منه ، وكان الأجدر به أن يحثهم على الأخلاق الإسلامية الراسخة في تراث هذه الأمة وعقيلتها الجمعية ؛ ليكون موجّهاً فنه لإرشاد ولاة الأمة وحكامه ، فيؤدي عند ذ الفن

---

(١٩) ديوان كثيّر عزة ٤١ - ٢٤٣ .

(٢٠) العقد الفريد : ١٧٨ .

رسالته الإنسانية مبتعد عن ترسيخ تـ ذ م الأنا في نفوس الحكا ، ودفعهم إلى استعمال السيف في قيادة المجتمع .

ويبدو لنا مما يأتي من الأبيات أنَّ الشاعر افرط في نعت بشر بن مروان بالكر ، وألحَّ على هذه الصفة بأوجه مختلف ، وهذا ما يكشف لنا أنّ كثيّراً جعل مدحه وسيلة رخيصة للتكسب ، فقد خلع عليه صفات لا يشاركه بها احد ولا يعادله أحد ، فعطأؤه سال أودية من الكرم والمعروف ، ثم يعود بعد أبيات ، ليثنى فيها على الممدوح ، وأرومته ؛ ليقلب صورة الكرم بطريقة أخرى ، اذا جعل ممدوحه رؤوفاً بالفقراء معيلاً لهم ، وقد أغفل الشاعر نّ كرم ممدوحه كان ينصب على من باع شعره بضاعة رخيصة للثناء علي ، ورفع شأنه بين العرب ، ولو كان الأمراء ، أو المتنفذون يهتمون بأمر الفقراء كما زعم الشاعر ؛ لساد العدل وصلح أمر المسلمين كما في قوله

أبي مروانَ لا تعدِلَ ســــواهُ ... بهِ أحداً وأينَ بـــــــــهِ عديلُ
طَاحِيٌّ لَه نَسَبٌ مُصـــــــقّى ... وأخلاقٌ لهم عـــــــرضٌ وطولُ
فقدْ طلبَ المكارمَ فاحتــــواها ... أغرٌّ كأنَّهُ سَيْفٌ صـــــــــــقيلُ
تجنَّبَ كلَّ فاحشة وعــــــيبٍ ... وصافى الحمدَ فهو لهُ خـــــليلُ

فإنَّ بكفّهِ مـــــــا دَامَ حيـــّاً ... من المعروف أودية تســـــلُ

نقيٌّ طاهرُ الأثـــــوابِ بَــــرٌّ ... لكلّ الخير مُصْطَنِعٌ مُـــــحيلُ
أبا مروانَ أنت فتى قريـــــشٍ ... وكهلُهُمُ إذا عُدَّ الكُـــــــــهولُ
تُوَلّيهِ العَشِيرَةُ ما عَنـــــــاهَا ... فلا ضَيّقُ الذراعِ ولا بـــــخيلُ
إليكَ تشيرُ أيديهمْ إذ مـــــــا ... رَضُوا أو غَالَهُمْ أمرٌ جـــــليلُ
كِلا يومَيهِ بالمعروفِ طـــــلْقٌ ... وكلُّ فِعالِهِ حَسَنٌ جمـــــــــيلُ
جوادٌ سابقٌ في اليُسْر بـــــحرٌ ... وفي العِلاّتِ وهّـــــــابٌ بَذُولُ
تأنّسُ بالنَّباتِ إذا أتـــــــاهَا ... لِرُؤْيَةِ وَجْههِ الأرضُ المحولُ

-----　　　　-----

للفقراء عائِدَةٌ وَرُحْــــــمٌ　　　ولا يُقْصَى الفقيرُ ولا يَعِــــيلُ

نمى بكَ في الذؤابةِ من قُرَيْشٍ　　　بِنَاءُ العِزِّ والمجــــــــدُ الأثيلُ

أرُومٌ ثابتٌ يَهْتَزُ فيــــــــه　　　– بأكرمِ منبتٍ – فَرْعٌ أصــيل [(١)]

وهناك وتر ضرب عليه الشاعر؛ ليسمعنا صوتاً ناشزاً يخالف ما نادى به الإسلام الد فـ ، ونعني به مدحه وتمجيده لـ نسب الممدوح) الذي حرص الشاعر على ذكره في أكثر من مدحية [(٢)]، متجاوزاً بذلك وحدة الأخوة الإسلامية وما نادى به الله سبحانه وتعالى بأن أفضلية الناس تقاس بالتوقى لا بالأحساب والأنساب، وكان هذا الضرب من المديح عاملاً من عوامل بعث الر ح العنصرية بين العرب أنفسهم، إذ خلق لدى الممدوحين نزعة التعالي على سائر الناس، كما غرس في قبيلة الممدوح هاجس الكبرياء، والتمايز العنصري على سائر العرب وغيرهم من الشعوب ا ضوية تحت لواء الإسلام، وكان الشاعر عامل تفكك وتشرذم لأمة الإسلام، إذ أجَّجَ روح الـ اغض، والتناحر بين أبناء البشر، فكان الممدوح يتـ لى على الآخرين، إذ اعتقد أنه في مرتبة أعلى وأشرف، أو أفضل من باقي الخلق من حيث العنصر والنشأ، أو من حيث الحضارة والثقاف، فإن ذلك معناه انه أحق بالحياة والوجود من سوا)) [(٣)] ولذا فقد توهم الطغاة بأن لهم لحق باضطهاد الأجناس الأخرى، فلـ نهم مفوضون من الله، ولا أحقية لأحدٍ في الملك سوا . وكانت هذه ثمار الخطاب الشعري المرّة في أدبنا العربي، وإذا كان الشاعر قد تمادى بتبخيس الفن، فإنَّ الناقد الأدبي قد شاركه بترسيخ المبادئ غير الإنسانية حين أخفى عيوب الخطاب الشعري، بل اكتفى بإظهار ما يراه جميلاً لاسيما في صور الممدوح المبالغ فيه، إذ جعل المبالغة في رسم الصورة أحد معايير الجمال.

٢. إقصاء الآخر :

إنَّ الفن بكل أصنافه وألوانه عاملُ توحيد لا عامل تفريد، وعامل تقارب وتفاهم لا عامل تباعد وتخاصم بين البشر، فالفن نتاج إنساني غايته النهوض بواقع الإنسان المليء بالتناقضات والسلبيات إلى عالم أساسه المحبّ، وقوامه التعاون والتقارب بين الأمم، وقد أغفل

---

(١) ديوان كثيّر عزة ٢٠ ٢٤.

(٢) ينظر، ن ١٧٦.

(٣) قراءات في فكر وفلسفة علي حرب ٢٤ - ١٢٥.

الناقد الأدبي في أدبنا العربي هذه الوظيفة السامية للفن ولاسيّما الأدب ، إذ صفق لخطابات الإقصاء في الشعر العربي ، واظهر جماليات لك النصوص إلى الجمهور ، وهذا ما نراه في كثير من أغراض شعرنا العربي ، ولاسيما الفخر والهجاء ، والعبث والمجون ، فهذه الأغراض تضم بين طياتها صوراً كثيّرة من صور السخرية ، والتهكم والإقصاء لكثير من عناصر المجتمع .

فالشاعر كثيّر عزة الذي يبدو للمتلقي انه يذوب رقة ، ويتسع صدره لكل الناس ؛ لانه عاشق ، والعاشق لا يعرف غير الحب ، فهو يتمنى أن تكون الصحراء بستاناً يانعاً ومرتعاً للمحبين ، نراه في لباس آخر لا يعرف غير وصف الغارة ومقاتلة الخصوم ، فهو يفخر بمجد قبيلته ، وسؤددها سالب خصومه كلَّ دواعي القوة والمنعة ، إذ أقصاهم عن طبيعة الآخرين ، ولم يكتفِ بهذا الإقصاء ، بل افتخر بقومه ممجداً ما قاموا به من حربٍ مدمرةٍ على الآخر أيسرها سبي النساء ، وانتهاك الأعراض .

وتتصاعد عنصرية الخطاب الشعري ، حين يصرح الشاعر بأنَّ دماء الآخر مباحة لقومه تباع وتشترى ، ولكنّ دماء قومه لا تقابلها دماء اخرى ، فهم لا يقبلون بالدية من أحدٍ إلاّ القصاص ، فالدم بالدم كما في قوله :

ترانا ذوي عزٍّ ويزعُمُ غيرُنا   من أعدائنا أن لا يَرَوْنَ لنا مِثْلا

نحاربُ أقواماً فنسبي نساءَهُمْ   ونُصفدُهمْ أسراً ونوجعُهمْ قتـــلا

فيؤخَذُ منّا العقْلُ دونَ دمائنـــا   ونأبى فلا نستـقُ منْ دمائنا عقلا

وَيَضْرِبُ رَيْعَانَ الكَتِيبَةِ صَفُّنَا   إذا أقبَلَتْ حَتَّى نُطَرِّفَها رَعْلا (٤)

إنّ الخطاب الشعري في هذه الأبيات أخرج الشعر عن وظيفته الإنسانية ، وجعله بوقاً للحرب وإهلاك الآخر ، فالإقصاء هنا لم يتوقف على ازدراء الآخر وإبعاد ، بل دعا إلى فنائه ، وسلب أحقية الآخر في العيش ، ولم يُلتفت إلى سلبية هذا الخطاب الدموي في نقدنا الأدبي ، ولو سار النقاد على هذا المنوال الذي أخذنا به ؛ لأصبح الخطاب الشعري عاملاً من عوامل احترام الاخر ، والتقارب منه ، فالفخر مرتبطٌ بتقليب مكانة البطل التي تعلي من شأنه وتميزه عن غيره ، وهذا ما سعى الشعراء المبالغون من اجل إثباته ، إذ لوح الشعراء بإرادة الاستعلاء،

(٤) ديوان كثيّر عزة ٨٣ – ٨٤ .

وترسيخ المنهجية القبلية المتمثلة بالتعالي على الآخر بسبب القوة والهيمنة التي تغنى بها الشعراء. (٥)

إنّ النفس العاشقة والساعية وراء المرأة الجميلة، أنّما تروم المحافظة على النوع البشري بقصد، أو بغير قصد، فالارتباط بالمرأة، يعني إنتاج جيل جديد، وما يثير العجب والاستغراب إنّ شاعراً ككثيّر يدعو بوضوح؛ لتطهير الأرض من بني ضمرة سالباً إياهم الصفات الإنسانية، فهو ينعتهم بالتيوس والذئاب؛ ويكون بهذا قد سوغ لقومه القضاء على هذا الآخر، وزواله عن وجه الأرض كما في قوله:

لا بأسَ بالبَزْواءِ أرضاً لو أنّها   تُطَهَّرُ مِنْ آثارهِمْ فتطيبُ

إذا مَدَحَ البكْريُّ عِنْدَكَ نَفْسَهُ   فقل: كذبَ البكريُ وهو كذوبُ

هو التّيسُ لؤماً وَهْوَ إنْ رَاءَ غَفْلَة   من الجارِ أو بعضِ الصَّحابة، ذيب (٦)

قد نم الشاعر عن نزعة عنصرية تشبه نزعة الاستيلاء على أراضي الآخر في عصرنا هذا، فهو يتمنى أن يسحق الآخرين، ويستولي على مراعيهم وأموالهم، ويجعل من ظلَّ حياً منهم من النساء والضعفاء عبيداً لخدمة المنتصر من قومه.

ولا يخفى عن المتلقي نص هذا الخطاب، وما ينطوي عليه من تضخم الأنا الجماعية الداعية إلى تهميش الآخر، أو القضاء عليه، ويعد هذا دعوة صريحة إلى البقاء للأقوى، وهذا لا ينسجم مع وظيفة الفن عموماً، والأدب خصوصاً.

ولم يتوقف إقصاء الآخر عند كثيّر عزة على الخصوم، بل تعدى ذلك إلى النساء اللائي نعتهنَّ من دون استثناء بالغدر، ويبدو لي أنّ هذا عامل نفسي ناجم عن إخفاقه في مسعاه للوصول إلى الارتباط بمعشوقته كما في قوله

أمِنّي صرمتِ الحبلَ لمّا رأيتني   طريدَ حروبٍ طرَّحتهُ الطَّوارحُ

فأسْحَقَ بُرداهُ وَمَحَّ قميصهُ   فأثوابُهُ ليستْ لهنَّ مضارحُ

---

(٥) ينظر قراءات في شعر شعراء الطبقة الاولى الجاهلية اطروحة دكتوراه، ايمان محمد ابراهيم العبيدي / ٥٥، وفي النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي / ٤٠.

(٦) ديوان كثيّر عزة / ٢٨٧.

فأعرضتِ إنَّ الغدرَ منكنَّ شيمـــة وفجعَ الأمينِ بغتةً وهو ناصحُ
فلا تَجْبَهيهِ وَيْبَ غيركِ إنَّـــــهُ فتىً عنْ دنيّاتِ الخلائقِ نازحُ
هُوَ العَسَلُ الصَّافِي مِرَاراً وتارة هو السَّمْ تستدمي عليهِ الذَّرارحُ
لعلَّكِ يوماً أن تَرَيْهِ غِبْــــطَة تودّينَ لو يأتيكُ ، وهوَ صـــافح [٧]

إنَّ هذا الضرب من الإقصاء أقلُّ خطورة من غيره في شعرنا العربي ؛ لأنّهُ ناجمُ عن موقف شخصي بفعل عامل نفسي لا يشكل ظاهرة اجتماعية خطير ، كما وجدنا في إقصاء الآخر في غير هذا الموضع .

٤ . طغيان الأنا :

من الأمراض التي تصيب النفس تضخم الأنا الذي يجعل الفرد يرى نفسه فوق الجميع ، فالكل مخطئ في نضره إلاّ هو ، وكأنه مخلوق من عنصر آخر ، وهذا الأمر ناجمُ عن سلسلة من الإخفاقات النفسية في وسط الفرد الاجتماعي ؛ الأمر الذي يصيب ذلك الفرد بمركب النقص الذي يحاول تعويضه بطرق شتى ، من أسوئها إسقاط ما في الذات على الآخر ، فإنَّ كفاح الفرد من أجل فرض وجوده ، والتفوق على الآخر نابع من الشعور بالنقص ، فالبحث عن التفوق هو وسيلة تعويضية لشعوره بالنقص [٨] ، وهذا ما نراه ضمن الأنساق المضمرة في شعر كثيّر عزة وهو يعاتب قومه محاولاً تفضيل ذاته عليهم في جوانب عدة ، كما في قوله :

أودُّ لَكُمْ خَيْراً وَتطَّرحُونَنِـــــــي أَكَعْبَ بنَ عمروٍ لاخْتِلاَفِ الصَّنَائِع
وكيفَ لَكُمْ صَدْرِي سَلِيمٌ وأنتـــُمُ على حسكِ الشَّحْناءِ حُنُوُ الأضـــالع
أُحَاذِرُ أن تَلْقَوْا رَدًى وَمَطِيّكـُـمْ خَوَاضِعُ تَ غِينِي حِمَامَ المَصَــارِع
عَلى كُلِّ حَالٍ قدْ بَلَوْتُمْ خَلِيقَـــتي على الفَقْرِ مِنّي والغِنَى المُتَـــتَابع
غَنِيتُ فَلَمْ أَرْدُدْكُمْ عِـــن بُغية وجُعتُ فلم أكددكمْ بالأصــــابع
إذا قلَّ مالي زاد عرضي كرامة عَلَيَّ وَلَمْ أَتْبَعْ دَقِيقَ المَطَــــامِع
وإنّي لَمُسْتَأنٍ وَمُنْتَظِرٌ بِكـــُمْ على هَفَوَاتٍ فِيكُمُ وَتَتـــــَـايُع

---

(٧) ديوان كثيّر عزة : ٨٢ - ١٨٣ .
(٨) الانسان من هو : ١٥ .

وَبَعْضُ المَوَالِي تُتّقى دَرَاءَتــــُهُ كما تتَّقى روسُ الأفاعي الأضـــالع
ومحترشٍ ضَبَّ العداوَةِ مِنـــهُمُ بحلو الخلا حرْشَ الضِّبابِ الخوادع (١٩)

في هذه الأبيات يجعل الشاعر نفسه أفضل من الآخرين ، فهو يريد لهم الخير ، ولا يضمر لهم حقد ، ولا يريد بهم شرّ ، فهو ذلك الوفي في حالتي الفقر والغنى الذي ظل مثالاً للأنفة ، وصدق المعشر ، فهذه الأنا سلبت المعاتِب الصفات التي تحلى بها هو أي أنا الشاعر ، وافتقر اليها الـ عاتَد ، فالشاعر أسقط ما في نفسه على الآخر سعياً لسد ما يعتريه من النقص ، فهو يريد أن يجعل نفسه في كفةٍ مساوية لكفة الطرف الآخر ، أو يسعى لاحراز الرجحية على الطرف الآخر .

ولا تتمثل ظاهرة الأنا في الأفراد فحسب ، بل نراها في كثير من الشواهد تتمثل في الجماعة ولاسيّما حين نراها في الجماعة المضطهدة ، أو المهمشة التي تشعر بالنقص إزاء الآخرين ، فهي تحاول على لسان مبدعيها التعويض عمّا ألمَّ بها من النقص ، بسبب الاضطهاد مدعية صفات تعيد لها التوازن الاجتماعي كما في قول كثيّر عزة :

ونحنُ مَنَعْنا منْ تِهامَةَ كلّـــــها جُنوبَ نَقا الخوّار فالدَّمثَ السَّهلا
بِكُلِّ كُمَيْتٍ مُجفَرِ الدَّفِّ ســــابحٍ وكلِّ مزاقٍ وَرْدةٍ تعلِكُ النّكـــــلا
غوامضُ كالعقبانِ إذ هي أرسِلتْ وإنْ أمْسِكَت عن غَرْبها نَقلَتْ نَقلا
عَلَيْهِنَّ شُعْثٌ كالمَخَارِيقِ كلّهـــــُمْ يُعَدُّ كريماً لا جباناً ولا وغْــــلا
بأيديهمُ خطِّيَّةٌ وعليهــــــــــــمُ سوابغُ فِرْعَونيّةٌ جُدِلتْ جَــــدْلا
تراهُ ذوي عزٍّ ويزعُمُ غيرُنــــــا من اعْدَائِنَا أنْ لا يَرَوْنَ لنا مِثْلا (٢٠)

إنَّ إشكالية الأنا ظاهرة إنسانية ناجمة عن ضغوط اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية ، فـ ذات الإنسانية حين تصل إلى منعطفات خطيرة تحول بينها وبين تحقيق متطلباتها في هذه الحياة ؛ يلحق بها عطب اجتماعي خطير ، إذ يحاول صاحبها التحايل على نقصه سلباً ، أو إيجاباً ، فإذا كان إيجاباً يكون عنصراً فاعلا ؛ لتحقيق ما هو خير للمجتمع ، وإنْ كان سلباً ، فإنه يصبح وبالاً على المجتمع ، ولاسّيما إذا كان الشخص الذي يعاني من تضخم الأنا من أهل

---

(١٩) ديوان كثيّر عزة / ٣٨ ، ٢٣٩ .

(٢٠) ديوان كثيّر عزة / ٢٨٣ .

الإبداع ، فمعالجته لنقصه بإبداع ؛ تترك أثراً عميقاً في ثقافة المجتمع ؛ وذلك للاستعداد الفطري الجمعي للتعامل مع خطابية النص الشعري ومضمونه .

٤ . تمجيد الحرب والحث على العنف :

حين كانت الأرض غنية بخيراتها ، وكان عدد الناس قليلاً في أول الأمر ، كانت الأرض تنعم بالسلام ؛ لأنّ ما فيها من الموارد والثروات تكفي للأعداد البشرية ؛ فكان الإنسان مسالماً في الأعم الأغلب ، فهو لم يستعمل السلاح إلاّ لحماية نفسه من الحيوانات الأقوى منه ، وإذا رجعنا إلى أول تاريخ الخليقة بحسب النظرية الدينية ؛ سنجد أول دم أريق على الأرض هو دم هابيل ، وكان القتل على يد أخيه قابيل ، وهذا دليل على أنَّ الأنانية راسخة في نفس هذا الكائن المفكر الناطق ، فحين تتضارب المصالح ، وتتزاحم الأهداف ؛ يلجأ الإنسان بنزعة حب التملك والسيطرة – على الدوار – إلى استعمال القوة ، وهذا ما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى ، وإذا حصرنا الامر في تأريخنا العربي القديم ، لوجدنا أنَّ المجتمع العربي كان مجتمعاً قبلياً يعيش حالة حرب لا هوادة فيها ، فالغزو كان باباً من أبواب الكسب قبل الإسلام ، والسبيُ والنهب ، والأسر ، هي ثمار يجنيها المنتصر ، ولمّا جاء الإسلام الحنيف رفع شعار الاخوة الإنسانية ، ونادى بالسلام بين الامم . أمّا القتال فقد نظمه الإسلام بآيات كثيرة كقوله تعالى ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ [١] ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ [٢] ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [٣] .

إذن فالقتال لأهداف سامية بحسب تعاليم الدين الحنيف ، فغايته نشر العدل والمساواة ، وتحرير الناس من العبودية للطواغيت ، وجعلهم يتجهون بعبادتهم إلى الواحد الأحد ، فغايات الحرب جعلها الإسلام لمنفعة الإنسانية ، والسير بها نحو عالم لا ظلم فيه ، ولا اضطهاد ، ولا تمييز عنصرياً أو قبلياً ، فإنَّ الله خلق الإنسان من أبٍ واحدٍ وأم واحدة ، وجعلها شعوباً وقبائل ، ليتعارفوا ، لا ليتقاتلوا ، وكان لزاماً على الخطاب الشعري أن يسعى إلى في ترسيخ هذه المفاهيم الجديدة ، لكنَّ الأدباء ومنهم الشعراء غضوا الطرف عن تلك المفاهيم السامية ؛ فاخذوا يمجدون الحرب ، ويحثون الطغاة ، أو زعماء القبائل على العنف من دون أن يحددوا اهدافاً لهذه الدعوات التي جعلت من هؤلاء يتفاخرون بسفك الدِّماء وشن الغارات ، وقتل النفس

---

(١) البقرة ١٩٤ .
(٢) البقرة ١٩٠ .
(٣) الأنفال ٦٠ .

المحترمة التي حرّم الله قتله ، وبهذا يكون الخطاب الشعري قد تنصّل عن الرسالة الإسلامية ، ومبادئها العليا ؛ فصار هذا الخطاب عاملَ تخريب وتدمير ، لا عاملَ بناءٍ وازدهار ، وعاملَ تباغض وتناحر ، لا عامل تقارب ومحبة .

فالحرب ظاهرة متوحشة تجسد المفهوم الإنساني ، وترسيخ التوتر والانقطاع بين المجتمعات ، إذ حاول الفن الحد من أبعادها الإنسانية بنشر ثقافة الحب بديلاً عن ثقافة الحرب (٤) . لكنَّ الخطاب الشعري في الموروث العربي كان يمجد الحرب بقصائد مدح بها الطغاة حتى صارت أناشيد تثير شهوتهم العارمة إلى القتل وسفك الدماء بين المسلمين أنفسهم ، ولم يتوقف تمجيد الحرب على غرض المديح ، بل تغلغل في أغراض أخرى كالفخر والحماسة والهجاء ، الأمر الذي خلق حالة شعور بالفوقية والتعالي وتقديس القوة والقسوة والجبروت ، وهذا شعور سلبي يسهم بقوة في تصرف الأفراد المتسلطين أحيانا ، ويصنع الديكتاتور أحياناً أخرى) . (٥)

فالحرب صفة عدوانية مدمرة تلحق الأذى بالجميع ، فكلٌّ فيها مغلوب ، فالتغني بالانتصار في شعرنا العربي لا مسوغ له من الناحية العملية (٦) سوى ترسيخ مفاهيم القوة والتعالي ، ولو قارنا بين الحب والحرب ؛ لوجدنا تبايناً واضحاً بينهم ، فالحب حياة ، والحرب موت ، والحب ازدهار ، والحرب جدب ، ولا ادري كيف يجمع كثيّر عزة شاعر الحب والغزل بين الحب والحرب ، ولا أجدَ مسوغاً لهذا الجمع غير المنفعة الذاتية النابعة من طمع نفس الشاعر ، والذي يثير العجب كل العجب في شعر كثيّر عزة أنّه نظم مقدمات تحفل بمعاني المحبة والعاطفة الجياشة للوحات مجَّد فيها الحرب وسفك الدِّماء ، فكأنه بهذا قد اصيب بالازدواجية الفكرية ، حين مازج بين الحياة والموت في تلهف للقاء الحبيب ، كما في قوله :

إذَا شَاء أبْكَتْهُ مَنَازِلُ قد خَلَـــتْ لعزَّةَ يوماً أوْ مناسبُ قالَهـــا

وما أنسَمِ الأشياءِ لا أنـــسَ ردَّها غَدَاةَ الشَّبَا أجْمَالَهَا واحتمالَهـــا

---

(٤) ينظر بنية الخطاب ، دراسة نقدية ١٩ ، والمنزلات منزلة الحداثة ١ / ١٣ ، والتاويل التخيلي للتجربة الانسانية قراءة في رواية تل اللحم) لنجم والي ، ا. ادريس الخضراوي ، مجلة الاقلام ، العدد الاول ، كانون الثاني ٢٠٠٩ ، ٧٢ - ٧٣ ، وتشكيل الخطاب الشعري ، دراسات في الشعر الجاهلي ١٢٩ .

(٥) الشعر فاعلاً ارهابياً ٣٥ .

(٦) ينظر حضارة العراق الشعر والنثر : ٢ / ٥١ .

-----　　　　-----

فلستُ بناسيها ولستُ بتـــــاركٍ　　　　إذا أعرضَ الأدْمُ الجوازي سُؤالها

أأدركُ من أمِّ الحُكَيِّمِ غبطـــــة　　　　بها خبَّرتني الطَّيرُ أمْ قدْ أنى لَهـــا

أقُولُ إذا ما الطَّيرُ مرَّتْ سَحِـيقة　　　　لعَلَّكَ يوم ــ فانتَظِرِ ــ أنْ تَنَالَها

--------　　　　-------

وخيْـــــلٍ بعاناتٍ فسِنِّ سُمَيْرة　　　　له لا يردُّ الذّائدونَ نِهالَهـــــــا

إذا قيل خيلَ الله يوماً ألا اركـــبي　　　　رَضِيتَ بِكفّ الأردُنيّ انسِحَـــالَها

إذ عرضتْ شهباءُ خطّار القــنا　　　　تُريكَ السُّيُوفَ هزَّها واستــــلالَها

رَميتَ بأبْنَاءِ العُقيميّةِ الوَغـــى　　　　يؤمُّون مشيَ المُشبلاتِ ظلالَـــها

كأنَّهُمُ آسادُ حَلْيَةَ أصبَـــــحَتْ　　　　خَوَادِرَ تحمي الخيلَ ممّن دَنا لَهـــا

إذا أخذوا أدراعهُمْ فتســـــربلوا　　　　مُقَلَّصَ مَسْرُوداتِها وَمُـــــذالَها

رأيتَ المَنَايَا شَارعَاتٍ فلاَ تكـــنْ　　　　لها سَنَناً نصبَ وخــــــلَّ مجالَها

وحربٍ إذا الأعداءُ أنْشتْ حياضَها　　　　وقلَّبَ أمراسُ السَّـــــواني محالَها

وردْتَ على فُرَّاطهمْ فدهَمتَهُمْ　　　　بأخطار موتٍ يلتهمنَ سِجالَها (٢٧)

إذ جمع الشاعر بين بنيتين متناقضتين ، وصورتين متضادتين ، إذ استهل قصيدته بالبوح عن تلهفه لصاحبته عزة ، فهو يتمنى أن يلتقي به ، وذلك اللقاء يعد نقطة مشعة تنم لنا عن تسامي الروح الإنسانية ، وسعيها إلى تمجيد الحب ، ثم يقفز إلى ساحة حرب ، تزدحم فيها خيول الموت ، وأسنة الفناء ، وتلونها دماء القتلى ، وتصرخ في جنباتها أصوات المنايا .

إنَّ كثيّراً قد تخلى عن خطابه المفعم بالحياة إلى خطاب مفعم بالموت ، والحث على العنف والدمار ، ولو كان النقد الأدبي قادراً على إظهار سلبية النص الخطابي في شعره ؛ لأخذ الخطاب الشعري مساراً إنسانيا مشاركاً بنشر ألوية الحب ، ونبذ ألوية البغض .

(٢٧) ديوان كثيّر عزة ٦١ - ١٤ .

إنَّ للأدب تأثيراً سحرياً في نفوس المتلقين ، فهو يسهم بتربية العقل الجمعي ، ويوجهه على وفق مضامين الخطاب الشعري ، وهنا تكمن خطورة توجه الشاعر ، فالإلحاح على تمجيد الحرب ، وثقافة الحث على العنف ؛ سيخلق تراكماً نسقياً في تراث الأمّة يتسم بالسلبية ، ويتحكم في متبنياتها الثقافية ، فغاية الأدب الإنساني هي الحد من مأساة البشر في معركة الوجود ، وذلك بإظهار بشاعة كل ما يهدد هذا الوجود ، ولاسيّما بشاعة الحروب [٢٨]

فشاعرنا يرى أنَّ صفات الحاكم أن يكون قويّاً باسلاً قائداً لجيوش الموت والدَّمار ، فهو يتغنى بجحافل جيش الممدوح التي أتت على الأخضر واليابس ، وهي تغير على الخصوم ، وما يثير الحيرة إنَّ خصوم الممدوح هم من العرب المسلمين ، ومعنى هذا أنَّ ثقافة الحرب والعنف قد أصابت عداها أهل الدين الواحد ، والأمة الواحدة ، كما في قوله مادحاً عبد العزيز بن مروان :

وفيكَ ابنَ ليلى عِزَّةٌ وبَسَالَةٌ	وَغَرْبٌ وموزونٌ من الحِلمِ ثاقِلُ
-----	-----
بغاكُمْ رجالٌ عند كلِّ مُلمَّةٍ	معينٌ عليكُمْ ما استطاع وخاذلُ
فما زلتُمُ بالنَّاسِ حَتَّى كأنَّهُمْ	منَ الخوفِ طيرٌ أخذأتْها الأجادِلُ
طِعَانٌ يَفُضُّ الجُدْلَ عن آنُفِ الشَّبا	وضربٌ ببيضٍ أخلصتها الصَّياقلُ
لوَامعَ يَخطفنَ النُّفوسَ كأنّهـــــــا	مَصَابيحُ شَبَّتْ أو بروقٌ عواملُ
إذا بلّت الخِرصانِ صاحَتْ كُعُوبُها	فلم تبقَ إلاّ المارناتُ الذوابــلُ
وإلاّ يُعقّني الموتُ والموتُ غالبٌ	له شَرَكٌ مَبْثُوثةٌ وحــــــبائلُ
أحَبِّرْ لَهُ قولاً تَنَاشَدُ شعـــــــرَهُ	إذا ما التقتْ بينَ الجبالِ القبائلُ
وتصدُرُ شتّى من مصبٍّ ومُصعَدٍ	إذا ما خَلَتْ مِمَّنْ يحلُّ المنازلُ
يُغنّي بهَا الرُّكْبانُ من الِ يَحصُبٍ	وبصرى وترويهِ تميمٌ ووائــلُ [٢٩]

(٢٨) ينظر الصورة السردية في الرواية والقصة والسينما : ١٣ .

(٢٩) ديوان كثيّر عزة : ١٩٥-١٩٦ .

ومهما كانت مسوغات الحرب التي تغنى بها الشعراء العرب ، فإن هذا الضرب من الخطاب ؛ يترك اثراً عميقاً في العقل الجمعي للأمة ؛ لأنَّ تمجيد الحرب والحث على العنف ؛ سيكون – في الأعم الأغلب – حافزاً ينتهزه الطغاة لإخضاع الجماهير ، فكم من زعيم ، قد شغل الجماهير بحروب لا جدوى منها سوى إشغال الناس عن ممارسات ذلك المتحكم في مقدرات المجتمع .

١. التزلف للحكام بالرثاء

من صفات النفس الإنسانية اتسامها برهافة الحس ونقاء العاطفة ، وهذا جانب من جوانب عنصر الحب الذي يميز الإنسان عن غيره ليس من السهل أن يفقد الإنسان شخصاً عزيزاً عليه سواءً أكان ذلك الشخص قريباً ، أم بعيد ، فلا بدّ له أن ينفعل بذلك الموقف معبراً عن مشاعره ، فالحزن العميق هو الشعور بالمستقبل الخادع ، وعندما تأتي اللحظة المؤلمة التي تفقد فيها عزيزاً علينا نشعر في الحين بها حظة القادمة التي تهجم على وجداننا من حدة معادية))

وقد أخذ الرثاء في هذا الحيز دوراً فعالاً لإظهار مشاعر الانسان ، وهذا يعد منحى نبيلاً ؛ لأنَّهُ يطهر المشاعر ، ويظهر رقة الكائن البشري ، ولكن الخطاب في هذا الغرض قد انحرف عن مساره عند كثير من الشعراء ، فأصبح وسيلة رخيصة من وسائل كسب المال ، وذلك بالتزلف إلى الطغاة برثاء أمواتهم ، وهذا كثيّر عزة يتزلف لبني مروان برثائه عبد العزيز بن مروان ، فمن يقرأ هذه المرثية لا يجد مرارة اللوعة ، ولا ألم الفقد ، فمشاعره بعيدة عن الصدق في هذا الرثاء ، إذ جاء رتيباً لا ينم عن حزن وأسى إنماّ يدل على اغتنام الفرصة للحصول على هبة من ذوي الفقيد ، فلوعته عليه باهتة ، وذكره لصفاته مألوف ، فهي نفسها التي ذكرها في مدحياته لهذا الفقيد قبل موته قائلاً :

أتانيَ ودوني بَطنُ غَــولٍ ودونَهُ   عمادُ الشَّبِ من عينِ شمسٍ فعابدُ

نعيٌّ ابنِ ليلى فاتّبعتُ مصــــيبَةً   وقد ضقتُ ذرعاً والتَّجلُّدُ آيــــدُ

وَكِدْتُ وَقَدْ سَالَتْ مِنَ العَيْنِ عَبْرَةٌ   سَهَا عَانِدٌ مِنْهَا وأَسْبَلَ عَانِـــــدُ

قَذِيتُ بِهَا والعَيْنُ سَهْوٌ دُمُوعُهــا   وَعُوَّارُها فِي بَاطِنِ الجَفْنِ زائـــدُ

(٠) حدس اللحظة ٢٠ .

فإنْ تُركتْ لكحلٍ لم يترُكِ ال كـــا   وتشرى إذا ما حَثْحثتْها المــَراودُ
أمُوتُ أسًى يَوْمَ الرِّجَامِ وإنَّنــــي   يقيناً لرهنٌ بالّذي أنا كائِــــــــدُ
ذكَرْتُ ابنَ لَيْلَى والسَّمَاحَةَ بَعْدَمَا   جَرَى بيننا مَوْرُ النَّقَا المُتَطَـــاردُ
وَحَالَ السَّفا بَيْنِي وَبَيْنَكَ والعِـدَى   وَرَهْنُ السَّفَا غَمْرُ النَّقِيبَةِ مَاجِـــدُ
حَلَفْتُ يميناً بالَّذي وَجَبَتْ لَـــــهُ   جُنُوبُ الهَدَايا والجِبَاهُ السَّوَاجِـــدُ
لِنِعْمَ ذوو الأضياف يَغْشَوْنَ بَابَــهُ   إذا هَبَّ أرياحُ الشِّتَا الصَّـــــوَارد
إذا استَغْشَتِ الأجْوَافَ أجْلَادُ شَتْوَة   وأصْبَحَ يَحْمُومٌ بِهِ الثَّلْجُ جَامِــدِ (١)

ولم يقف تزلف الشاعر عند الكبار من حكّام بن امية أمثال عمر بن عبد العزيز ، وعبد العزيز بن مروان ، فها هو يرثي خالد بن عبد الله ا سدي ، وهو احد قواد بن امية وولاته ، بمرثية لا تنم لنا عن صدق عاطفة أو رهافة حس ، إنّما جاءت كسابقاتها باردة الأحاسيس ، تنحى منحى النسق الجاري في ذلك العصر ، فبكاء الشاعر تقليدي ليس فيه حرارة الجزع ، أو حرقه الحزن ، وكذلك في ذكره لصفات الفقيد فهي صفات تكررت في مراثي الشاعر لغيره من المرثيين ، كما في قوله :

على خالدٍ أصبحتُ أبكي خالدٍ   وأصْدُقُ نَفْساً قد أصيبَ خليلُــها
تذكـــرتُ منه بعدَ أوّل هجعة   مساعيَ لا أدري على مَنْ أحيلُها
وكنتَ إذا نابـــتْ قريشاً مُلمَّة   وقال رجالٌ سادة : من يُـــزيلُها
تكونُ لهم لا معـــجَباً بِنَجَاحِها   ولا يحملُ الأثقالَ إلاّ حمــــولُها
فأينَ الّذي كَانـــتْ معَدٌّ تَنُوبُهُ   ويحتملُ الأعباءَ ثمَّ يعولُهـــا؟ (٢)

إنَّ الرثاء بحد ذاته يشكل لدى المتلقي شعوراً بالارتياح من خلال تطهير النفس ، فهو مثير للواعجها الدفين ، وتعبير عن أحاسيسها المرهف ، ولكن حين يفقد هذا الغرض وظيفته الإنساني المنطقية يصبح خطاباً ، تجه صوب السلبي ، عندما يُشيّ ، ويكون وسيلة للكسب

(١) ديوان كثيّر عز ٢٠ - ٢٢١ .
(٢) ديوان كثيّر عز ٢٧٢ .

بعيد عن الصدق ، فتكرار هذه الأنساق في شعر كثيّر عز ؛ أفقدت الخطاب الشعري فاعليته الايجابية في تراكم تراث الأمم .

الخـــاتمـــــ :

بعد الخوض في قراءة الأنساق المضمرة التي أغفلها الدرس النقدي في شعر كثيّر عز ؛ تبين لنا ان الأدب كالكائن الحي ، قد يكون سليماً معافى ، أو سقيماً معتلاً ، ولا ريب أن لاعتلال الأدب والخطاب الشعري بخاصة أسبابا اقتصادية واجتماعية ، وسياسية تتحكم بسير وظيفة الخطاب الشعري ، ورسالته الإنسانية ، فالأسباب المذكورة قد تضغط على المبدع ؛ فتنسيه دوره في ترسيخ المفاهيم الثقافية التي تسهم في تهيأت البيئة الملائمة ، لعيش رغيد يتعامل فيه الإنسان مع أخيه الإنسان تعاملاً واعياً ، ومدركاً بأنَّ الناس سواسية لا فرق بينهم ، وهذا ما جاء به الإسلام الحنيف لكن دوافع حب الوصول ، وكسب المال جعلت المبدع يغفل رسالته ، وكذلك ضغط الطغاة وملاحقتهم لفئة المبدعين أضعفت الكثير منهم ؛ فأصبحوا يسيرون في ركاب المتنفذين من دون الالتفات إلى أهمية الفن في ارتقاء الأمم .

ومن أهم نتائج فحص الأنساق الثقافية المضمرة في شعر كثيّر عزة ما يأتي :

١. إنَّ للناقد دوراً رئيساً في توجيه الأدب نحو رسالته المثلى .

٢. يعد الأدب ولاسّيما الشعر عنصراً فعالاً في توجيه سلوك المجتمعات البشرية قديمها وحديثها ، فهو يحدد المسار الثقافي لأية أمة من الأمم ، ويتحكم في تشكيل الوعي الجمعي .

٣. وجدنا في خطابنا الشعري ظواهر خطيرة أسست لمفاهيم ومتبنيات مخطوءة في بناء العقلية العربي ، وهذا ما أكده رواد النقد الثقافي المعاصر .

٤. كشف البحث عن انساق مضمرة في شعر كثيّر عزة لم يعن بدراستها النقد الفني ، أو الجمالي ؛ وهي الحسية في عذرية الشاعر ، والمغالاة في مدح الطغاة ، وإقصاء الآخر ، وتمجيد الحرب والحث على العنف ، وطغيان الأنا ، والتزلف في الرثاء . إذ كشفت لنا دراسة هذه الأنساق الأبعاد والمدلولات اللا انسانية في شعر الشاعر .

٥. إنَّ المبدع يتأثر بثقافة أمته في خلق خطابه الشعري ، وكذلك يؤثر في ثقافة مجتمعه ، وتشكيل أنساق هذه الثقافة الحاضرة في الوعي الجمعي .

ثبت المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم .

٢. الاتجاه النفسي في نقد الشعر الشعبي ، د. عبد القادر فيدوح ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ١٩٩٢ م .

٣. الأمل واليأس في الشعر الجاهلي ، د. كريم حسين اللامي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨ م .

٤. الإنسان من هو ، قاسم حسين صالح ، دار الحكمة ، بغداد ١٩٨٢ م .

٥. بنية الخطاب ، دراسة نقدية ، د. حسين خمري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ١٩٩٠ م .

٦. تشكيل الخطاب الشعري ، دراسات في الشعر الجاهلي ، د. موسى ربابعة ، دار جرير عمان ، ط١ ٢٠٠٦ م .

٧. حدس اللحظة ، قاستون بشلار ، تعريب : رضا عزوز وعبد العزيز زمزم ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٦ م .

٨. حضارة العراق ، الشعر والنثر ، د. قحطان رشيد صالح ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٥ م .

٩. دلالة المدينة في الخطاب العربي المعاصر ، قادة عقاق ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ م .

١٠. ديوان كثيّر عزة ، جمعه وشرحه : د. إحسان عباس ، دار الثقافة للنشر ، بيروت – لبنان ، ١٩٧١ م .

١١. الشعر فاعلاً إرهابياً ، قراءة في خطابات شعرية سالبة ، د. رحمن غركان ، دار رند للطباعة ، ط١ ٢٠١٠ م .

١٢. الصوت بوابة الكون ، ساميا ساندري ، ترجمة : ماري بدين ابو سمح ، رياض الريس للكتب والنشر ، الجزائر ، ط١ ٢٠٠٢ م .

١٣. الصورة السردية في الرواية والقصة والسينما شرف الدين ماجدولين ؛ منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ١ ، ٢٠١٠ .

١٤. الطاغية ، دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي ، د. امام عبد الفتاح ، عالم المعرفة الكويت ، ١٩٩٤ .

١٥. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، عبد الرحمن الكواكبي ، دار النفائس ، بيروت ، ٢٠٠٦ .

١٦. العقد الفريد ، احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، ٣٢٨ هـ ، تحقيق : عبد المجيد الزحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١ ، ١٩٨٣ .

١٧. قراءات في فكر وفلسفة علي حرب – النقد ، الحقيقة ، والتأويل ؛ مجموعة باحثين ، مطابع الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ١ ، ٢٠٠٧ .

١٨. المائدة الأدبية حواس محمد ، مطبعة اليازجي ؛ دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٢ .

١٩. المنزلات منزلة الحداثة ، طراد الكبيسي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٢ .

٢٠. نظام الخطاب ، ميشيل فوكو ، ترجمة : حمد سبيلا ، دار التنوير ، بيروت ، ٢٠٠٧ .

٢١. نظرية الثقافة ؛ مجموعة من الكتاب ، ترجمة : علي سيد الصاوي ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٧ .

٢٢. النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات ، فنسنت ليتش ، ترجمة : محمد يحيى ؛ منشورات المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

٢٣. نقد ثقافي أم ادبي ، د. عبد الله الغذامي ، د. عبد النبي اصطيف ، دار الفكر ، دمشق ، ١ ، ٢٠٠٤ .

٢٤. النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ٢ ، ٢٠٠٥ .

٢٥. النقد الجمالي ، رؤية في الشعر الجاهلي ، د. احمد محمود خليل ، دار الفكر ، دمشق ، ١ ، ١٩٩٦ .

الرسائل الجامعية :

١. النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي ، العراق أنموذجا ، عبد الرحمن عبد الله احمد ، أطروحة دكتورا ، جامعة البصرة / كلية التربية ٢٠١٠م .

٢. قراءة في شعر شعراء الطبقة الأولى الجاهلية ، دراسة نقدية تحليلية ، إيمان محمد إبراهيم العبيدي ، أطروحة دكتورا ، جامعة بغداد / كلية الآداب ٢٠٠٦م .

الدوريات :

١. التأويل التخيلي للتجربة الإنسانية ، قراءة في رواية تل اللحم) لنجم والي ، إدريس الخضراوي ، مجلة الأقلام ، العدد الأول ، كانون الثاني ٢٠٠٩م .